من روائع المسرح العالمي الحديث

رؤوس الآخرين...

بقلم : مارسيل أيميه

نقلها عن الفرنسية : الدكتور سهيل إدريس

لا تزال مسرحية «رؤوس الآخرين» تمثّل على بعض المسارح الفرنسية ، ولا تزال تثير ضجة كبرى في اوساط القضاة واوساط الشعب على حد سواء . وقد اقيمت الدعوى على مؤلفها حين عرضت للمرة الاولى منذ سنتين بحجة انه يسيء الى سمعة القضاء الفرنسي ، ولكن لم يُحكم على المؤلف بشيء ، لأنه لم يتهم أحداً بالذات : وهذه المسرحية الرائعة تفضح الضمير المزيّف في بعض رجال القضاء الفرنسي وتتحدث عن الفضائح التي تقع في تلك الاوساط . واذا كان في فرنسا بعض الاحرار الذين لم تفسد السياسة ضمائرهم ، فان فيها كثيرين من الذين أصبحت ضمائرهم مدخولة ، ولا سيا اذا واجهوا قضايا الشعب العربي في الجزائر . وبالرغم من ان هذه المسرحية تتناول القضاء الفرنسي ، فاننا نستطيع ان نتخيّل منها بعض الضمائر الفرنسية التي زيفتها النزعة الاستعمارية . وهذا هو الفصل الاول من هذه المسرحية :

الحادث يجري في « بولدافيا »

قاعة استقبال النائب العام مايار . في الداخل ، نافذة كبيرة ذات اربعة مصاريع ، اثنان منها مشقوقان . من ناحية الحديقة ، جانب من رواق غير مغلق يفضي اليه بوساطة درجتين . ومن جانب الساحة ، باب .

مقاعد مختلفة ، طاولات ، بيانو . تمثال نصفي لمونتسكيو قائم على قاعدة .

المشهد الأول

جولييت مايار ، امرأة في الثلاثين ، باهتة الهيئة ، من غير أناقة . تذرع القاعة وتنظر الى ساعتها . الخادمة بييريت تُدخل رينيه اندريو ولويس اندريو وهما بلباس المدينة) .

رينيه — جولييت ، ما كانت النتيجة ، يا عزيزتي ؟

جولييت (هابطة الدرج) — لا شيء ! انه لم يخابرني بعد .

لويس — ليس في ذلك ما يدعو الى القلق . فانه يحدث احياناً ان تمتد المناقشات حتى منتصف الليل . تذكري قضية « لوموان » .

جولييت — اني اذكرها ، ولكنه يومذاك خابرني في فترة رفع الجلسة . أما هذه المرة ، فلعله لم يستطع ان يتصل بي ، او لعله ، بكل بساطة ، قد نسي .

أشخاص المسرحية

النائب العام مايار
جولييت مايار (زوجته)
رينيه اندريو
لويس اندريو
النائب العام برتولييه
روبرت برتولييه (زوجته)
بييريت
فالورين

رينيه (مقبلة جولييت) — يا عزيزتي المسكينة ، اية حاله نفسية تعانين الآن !

جولييت — آه ! لو كنت تعلمين ! بعد الظهر ، لم اكن اتماسك على قدمي ، حتى اذا بلغت الساعة السابعة ، كانت الحياة قد تقلصت عني .

رينيه — انك يا عزيزتي تبالغين في جلب الهموم لنفسك .

لويس — لن يحدث شيء ذو خطر ، حتى ولو افترضنا اسوأ النتائج .

جولييت — اعرف ذلك ، فانه ينبغي لي الا افكر به ، ولكني لا استطيع . لقد كان فردريك يعلق على هذه القضية أهمية كبرى ، وكان شديد الانشغال بها ، حتى انني لم اكن استطيع اذا نفسي ان افكر بشيء آخر .

لويس — انك لتبالغين في الاهتمام بهذا الأمر .

جولييت — ذلك ان اخفاقاً يصيبه ، يوشك ان يلحق الأذى بسمعته وعمله .

لويس (متشككاً) — أوه ! تعلمين ان سمعته وعمله ...

جولييت — بمزاجه ، على اي حال . إنه بحاجة الى النجاح كي يشعر بالسعادة . (ملتفتة الى الرواق) كلا ، ليس هو أباكم ! ناموا يا أعزائي ، ان الوقت متأخر جداً ، وانا أعدكم بان يدخل عليكم البابا ليقبلكم حالما يعود .

لويس — اني واثق بفردريك . كوني على يقين من انه سيعرف أن يفيد من الوضع خير إفادة ، وثقي ، يا عزيزتي جولييت ، ان زوجك سيكون

عما قريب احد مشاهير الرجال المرموقين في بولدافيا .

جوليت — ان هناك كثيراً من المصادفات والعناصر غير المتوقعة التي قد لا تكون في صالحه ! جو القاعة ، او اعضاء المحكمة ، او مزاج الرئيس ، او تردد شاهد ، ما يدريني ؟

رينيه — اما انا فلست قلقة . ان زوجك يعرف ان يفيد من كل شيء ، حتى من غير المتوقع . انه يملك عقلا منظماً .

جوليت — انه هو ... فانا اسمع وقع خطاه ... يا إلهي ، شرط ان يحمل نبأ سعيداً ، لم يتفق لي يوماً أن شعرت بمثل هذا القلق وهذا الضيق .

المشهد الثاني

(يدخل فردريك مايار من باب الساحة حاملا محفظة جلدية . انه رجل في الثامنة والثلاثين . تتقدم جوليت ورينيه ولويس للقائه .)

لويس — اي نبأ تحمل لنا ؟

(يهز مايار رأسه بكآبة)

رينيه — قضي الأمر . لابد ان فانورين ، هذا الحيوان ، قد انقذ نفسه .

جوليت — لقد حدست بذلك .

لويس — يا عزيزي المسكين . إذن ، لا ؟ ام تسر القضية حسب مرامك ؟

مايار (ينفجر ضاحكاً ، ويقبل على جوليت بهيئة المنتصر) بلى ، بلى ! قد سارت الأمور على ما يرام ، ما دمت قد استصدرت حكماً على صاحبنا هذا .

لويس — أصحيح ما تقول ؟ حكم بالأشغال الشاقة ؟ مؤبد ؟

مايار — ابداً . بل هو حكم بالأعدام !

رينيه ولويس (مصفقين) — براڤو ! براڤو ! ان هذا لمدهش !

جوليت (مرتمية على عنق زوجها) يا حبيبي ! كم انا سعيدة ! لا ، إنك لا تستطيع ان تتصور مبلغ سعادتي ! ليتك عرفت الضيق الذي مررت به ! كنت لا أجرؤ بعد على ان آمل النبأ السعيد . لقد تأخرت عودتك ، وتملكني القلق .

مايار (متأثراً) — صغيرتي العزيزة (يقبل جبينها) لقد تأخر صدور الحكم ، وكان علي بعد ذلك ان استمع الى حديث رئيس غرفة « روبيشون » الذي استبقاني عشرين دقيقة اخرى .

رينيه — وحين دخلت ، خدعتنا بهيئتك هذه ، هيئة الدفن ، كما لو ان صاحبنا قد اخلي سبيله ! (لحظة) انه لبشع ، هذا الذي عملته ، أيها النائب العام مايار !

(تأخذ رينيه وجوليت بذراعي مايار)

جوليت — نعم ، ان هذا بشع جداً ، ونحن جميعاً غاضبون .

مايار — استميح الجميع عذراً وأعدكم الا اعود الى مثلها .

جوليت — هل نسامحه ؟

رينيه — هذه المرة نسامحه لأنه رجل فريد ، عظيم ، عبقري !

لويس — اصارحكم بأني لم أكن انتظر حكماً بالموت .

مايار — بكل صراحة ، أنا ايضاً لم اكن أتوقع ذلك . صحيح ان في القضية جريمة دنيئة : فان صاحبنا قد قتل امرأة مسنة بقصد سرقتها ، ولكن لم يكن هناك ، بعد كل حساب ، دليل حاسم . كان هناك بالإجمال باقة من القرائن الخطيرة ، ولكنها ليست مع ذلك الا قرائن . ان آثار الأصابع ، التي هي آثار اصابعه دون شك ، لا تشكل دليلا كافياً . لهذا كان مجال الدفاع متسعاً . وقد قال المعلم « لانكري » : ليس لديك الا يقين معنوي . وقد كان هذا صحيحاً ، آخر الأمر .

لويس — بالطبع كان موقفه قوياً . ولا بد انك تصرفت بالقضية تصرفاً بارعاً .

مايار — الحق اني كنت خائفاً . وقد حسبت عشرين مرة ان المتهم قد أنقذ رأسه . لقد شعرت بأنه يفلت مني ، يتسلل بين أصابعي . ولكني كنت اوفق كل مرة الى القيام بالضربة التي كانت تعيده الى الحظيرة .

لويس — حظيرة العدالة ! (يضحكون)

مايار — ولكن اسوأ ما في الأمر ان هذا الحيوان كان يوحي بالود . وليس هناك ما هو أشق من ذلك على نائب عام ، ولا أخطر . انه لم يكن مطلقاً ذلك الوحش الذي كنا ننتظر رؤيته . بل لقد كان عكس ذلك تماماً .

لويس — ما مهنته في الحياة ، متهمك هذا ؟

مايار — انه عازف جاز .

لويس — آه ! حقاً !

مايار — تصور فتى في الخامسة والثلاثين ، ذا مظهر متميز بالرغم من مهنته ، ووجه حيوي يتنفس الصراحة والشرف ، ونظر ذكي ، وحركات رشيقة وطلاقة في اللسان ، وصوت مرتعش أحياناً ، جدير به ان يهز النفس .

رينيه — وهل كان جميلا ؟

مايار — لا بأس . والى ذلك ، حظ من الأناقة في الملبس ، ورشاقة مهملة بعض الشيء .

جوليت — وهل كان في عداد اعضاء المحكمة نساء ؟

مايار — اثنتان .

جوليت — اذن ، فقد كان كل شيء ضدك حقاً !

مايار — بوسعك ان تقولي ذلك . وحين كان المتهم يعلن براءته ، كنت أشعر بان القاعة تنحاز اليه ، بل المحكمة والرئيس . وعند ذاك كنت ارفع عقيرتي وأعيده الى الجدار : « اين كنت مساء اول حزيران بين الثامنة ومنتصف الليل ؟ »

لويس — حقاً ، اين كان بين الثامنة ومنتصف الليل ؟

مايار — في بيت ضحيته ، من غير شك ! على انه يزعم ، هو ، انه قضى الامسية في فندق بصحبة امرأة مجهولة . وقد كان هذا امراً مضحكاً ، بالنسبة لقضية التبرير ، ولكنه كان يؤكد ذلك بطريقة كان اعضاء المحكمة يهتزون لها . وأخيراً ، ارتد الود الذي كان يوحيه الى نحره ، وأن فضل ذلك عائد اليّ .

رينيه — وكيف بلغت ذلك ، يا ساحري العزيز ؟

مايار (مستعيداً لهجة الخطابة في المحكمة) — سادتي القضاة ، ان امامكم قاتلا ليس اخطر سلاحه السكين او المسدس ، بل هذا الود الذي يوحيه ... (مغيراً لهجته) ما تقولون في ان نتحدث حديثاً آخر ؟ ليست بي رغبة ، مهما كان الأمر ، ان اعيد المحاكمة وحدي .

لويس — يا للخسارة !

جوليت (ملتفتة الى الرواق) — نعم يا اعزائي ، لقد عاد البابا ... إنه هو الذي سيخبركم ذلك . (لمايار) انهم الاولاد . وهم لا يستطيعون النوم . إذهب فقبلهم وانبئهم النبأ السعيد . وما اشد ما سيفرحون !

مايار (متجها الى الرواق) —ياأحبائي الصغار ! عند الظهر ، استوعدني « الان » ان أحمل له رأس المتهم !

(الجميع يضحكون . يرقى مايار الدرجتين المفضيتين الى الرواق)

جوليت (لمايار)— لقد قضوا الامسية كلها وهم يحكم بعضهم على بعض بالاعدام !

(ضحكة متلطفة من مايار الذي يختفي في الرواق)

المشهد الثالث

جوليت (مبتسمة) – آه ! احس اني ولدت فجأة من جديد !

لويس –: انك تشبهين فتاة تكتشف عذوبة الحياة .

رينيه (للويس) – لست انت الذي توفر لي ابداً فرحة كهذه .

لويس – اوه يا عزيزتي ، انني امين متحف « لوفرين » ، وليس باستطاعتي ان آمر بقطع رأس أحد .

رينيه – ان تكون المرأة زوجة رجل يتصرف بحياة الآخرين ، لابد ان يكون هذا شيئاً لذيذاً !

جوليت (بلهجة ينفذ منها الغرور) – انا لست ادري ان كانت جميع نساء النواب العامين مثلي ، ولكني استطيع ان اقول انني اعيش حقاً جميع قضايا فردريك . فهو طوال الوقت الذي يعد فيه مطالعته ، منهمك ، متوتر الاعصاب سريع الغضب ، بحيث اشعر انني انا بالذات مسؤولة عن مصير القاتل .

رينيه – طبعاً . فان زوجك انت يجعلك تشعرين بالانفعالات .

جوليت – وحين تأتي نهاية الحكم ، فأية راحة واي انبساط ! لا سيما حين تغمره السعادة كما هو شأنه هذا المساء . أنا اشعر بأني خفيفة ، وان بودي ان اتسلى ... بل الحق ان بودي ان ارقص .

رينيه – سيسمح لك بكل شيء في هذا المساء . (تذهب الى البيانو) ان لويس راقص رديء ، مع الأسف ... وهو لا يزال على كل حال عند حد «التانغو» الذي كان يرقصه آباؤنا .

لويس – لا تصدقها . ان مهنتي تورث لديها بعض المرارة . انني ارقص كالجنية .

(توقع رينيه بعض انغام التانغو. ترقص جوليت و لويس خطوتين أو ثلاثاً)

المشهد الرابــــع

(تفتح بيريت الباب الأيمن وهي تنظر ببسمة متوددة الى جوليت ، وتفسح الدخول للنائب العام « برتولييه » وهو رجل في الخامسة والخمسين)

برتولييه – اين هو المنتصر ، حتى أضمه بين ذراعي الاخويتين ؟

(لجوليت) مساء الخير ... (يتناول كفيها الاثنتين) ايتها الزوجة السعيدة !

(لرينيه) إن عينيها الجميلتين نديتان بالفرح والفخر (يقبل يد رينيه و يشد على يد لويس) اي نجاح هذا ، أليس كذلك ؟

رينيه – رائع ! فاتن ! انك ترى الجذل الذي نحن فيه . ولكن ما اشد الأثر الذي خلفته هذه القضية في نفس هذه العزيزة المسكينة التي كانت ترتعش هنا وهي تنتظر النتيجة !

جوليت (لبرتولييه) – انت ترى اني قد استعدت هدوئي تماماً .

برتولييه – في الواقع . ولكن ربما اتيت لأقطع لعبة صغيرة ؟

لويس – كنت اقوم باشياء مدهشة . وقد كادت جوليت تصيح من فرط الحماسة !

رينيه – اتراه قد سحق قدمك ؟

جوليت – اوه ، لا (ضاحكة) انه لم يكد يلامسها .

برتولييه – يا اصدقائي الطيبين ، اني اقترح ، احتفالا بهذا اليوم المجيد ، أن ...

المشهد الخامس

(يظهر مايار في اعلى درج الرواق)

برتولييه – أسعدت مساء ، ايها النائب العام !

مايار – اسعدت مساء ، ايها النائب العام !

برتولييه – اوه ! انني ، بعد نصرك العظيم اليوم ، لست الا نائباً عاماً صغيراً لا قيمة له ، ووكيلا متواضعاً للسجون والزنزانات . اما انت ، يا مايار ، فاي فنان تغدو !

مايار – انك تبالغ ، يا صديقي العزيز . (يظل واقفاً في اعلى الدرج)

برتولييه – أبالغ ؟ لقد خرجت ، بين جلستين ، استنشق هواء القاعة مدة خمس دقائق . وفي هذا الوقت بالذات ، كنت تختم مرافعتك ، وما كان اروعه ختاماً ! اي ايجاز ، واي عنف ، واية قوة ! كانت كل كلمة من كلماتك مصوبة الى هدف ، حتى ان اعضاء المحكمة انقطعوا عن التنفس ، واذا القاتل يتقاص على مقعده . اما انا ، فلقد استخفت بي الحماسة ، وأجهدت نفسي حتى لا اصفق .

مايار – اجل ، احسب ان ختام مرافعتي قد آتى ثمرته .

لويس – صحيح ، ينبغي الايمان بأنه آتى ثمرته .

برتولييه (بجد) قل يا مايار . ان هذا هو رأسك الثالث . فكر بهذا ملياً يا عزيزي . رأسك الثالث ، وانت ما زلت في السابعة والثلاثين من عمرك • ما اروع هذا !

مايار (مبتسماً بتواضع) – اوه ! انت تعلم ...

برتولييه (ملتفتاً ، الى الآخرين) – يبدو انه يجد هذا امراً طبيعياً جداً .

رينيه – انه ساحر ..

برتولييه – اتراك ستقول لي انك لست مسروراً من نفسك ؟

مايار – اوه ، لست غير مسرور .

برتولييه – إذاً لتقول ذلك بكل بساطة . ولكن يا عزيزي ويا زميلي المحترم ، يلوح أنك تجهل أنك أصبحت منذ الآن رجلا من ألمع رجال قصر العدل ، أجل ، بكل تأكيد . وإن إعلان دعوى يجلس فيها النائب العام مايار في مقعد النيابة العامة ، يجذب جميع سكان العاصمة إلى المحكمة . وأي عجب في ذلك ؟ ثلاثة رؤوس وأنت لما تزل في السابعة والثلاثين !

مايار (ضاحكاً) – أتراك نسيت الأربعة الذين أمرت باطلاق الرصاص عليهم عام ١٩٤٥ .

برتولييه – لا ، يا عزيزي مايار ، أنا لا أنسى شيئاً . ولكني معجب بك إلى درجة أني لا أستطيع إلا أن أكون صريحاً وصادقاً معك . إن هؤلاء الأربعة ، كانت قضيتهم مطبوخة .

مايار – وإن يكن ...

برتولييه – لنكن محقين يا مايار . كانت الأمور مرتبة آنذاك . ولم تكن مطالعاتك إلا لإنجاز الشكليات . على أنك مقابل ذلك ، قد تجاوزت طاقتك كلها في فضيحة إجازات التصدير ، وسأظل مقصراً في التنويه بذلك ، مهما رفعت صوتي .

مايار – اجل ، لقد تصرفت بتلك القضية تصرفاً طيباً . ولكن أحسب أننا تحدثنا أكثر مما ينبغي عني . ينبغي أن نتحدث أيضاً عن البراعة المدهشة التي سبحت بها بين صخور فضيحة « بطاقات الشراء » .

برتولييه – لقد هنأوني كثيراً على هذه القضية . ولكن أظن أني خضت مواقف أشد خطورة ودقة .

مايار – مهما يكن ، فتلك كانت قضية عظيمة .

برتولييه (مبتسماً) – قل لي ، يا مايار ، لم تكن تملك بعد ظهر هذا يوم أدلة كافية ؟ أليس كذلك ؟

مايار (يبتسم بتواضع) – فعلت ما أستطيع أن أفعله .

رينيه – إن زوجك مدهش . تعال نقبلك ، أيها الرجل العظيم العزيز .

٤٣

مايار – إن هذا أمر يعبر عن رغباتي .

لويس – رغباتك ؟ خنزير !

(يضحك لويس ، والجميع ينفجرون بالضحك . تدخل بييريت من باب الساحة)

بييريت – هل استدعتني السيدة ؟

جوليبت – كلا ، يا بييريت ، كلا ، ولكن ما دمت قد أتيت ، فاذهبي وألقي نظرة على الأولاد .

(بينما تدلف بييريت إلى الرواق ، يهبط مايار الدرج . يقبل رينيه ، ثم جوليبت)

رينيه – إنها أعذب جداً مما كنت أظن ، قبلة من نائب عام !

جوليبت (لمايار الذي ما زال يعانقها) – هل كان الأولاد مسرورين ؟

مايار – إنكم لا تتصورون مبلغ فرحة هؤلاء الصغار . إنهم حين علموا أني حصلت على حكم الإعدام ، قفزوا من أسرتهم ليتعلقوا بعنقي . وكانت فترة صراخ وضحك وأسئلة . وطالبني « جاكو » برأس المجرم ، وكان معتقد حقاً أني حملته معي إلى البيت . (ضحك عام) .

مايار (منفعلا) – يالتلك النفوس الصغيرة العزيزة !

جوليبت (محنية رأسها على كتف مايار –) إنهم في الحق أطفال على غاية العذوبة والحساسية .

برتولييه (مشيراً إلى مايار وجوليبت) – ما أجملها لوحة ! حين عاد المنتصر إلى بيت الأسرة ، وجد الرفيقة الأمينة العطوف التي تعلم جيداً أن الحب يفيد دائماً من النصر ... لا سيما حين يستطيع أن يعتز بموت إنسان ، أليس كذلك ؟ (ضحك متحفظ)

جوليبت (ضاحكة) – اسكت ايها النائب العام . انك رجل رهيب !

برتولييه – وانك انت لأسعد النساء . ولكن اقبلوا ، يا اصدقائي ، ان نشارككم فرحكم . منذ لحظات ، حين طلعت علينا من أعلى هذا الدرج ، ايها العزيز مايار ، كنت اتهيأ للقيام بعرض ، او باخطار ، فقد أمرت باعداد عشاء في البيت احتفالا بالحدث المجيد . فانا ادعوكم انتم الأربعة .

جوليبت – اي لطف هذا ، وأية مفاجأة جميلة !

رينيه – سنذيع الخاكي ، وسأرقص مع بطل اليوم !

برتولييه – نعم سترقصين . وسنرقص .

مايار – انك ملاك يا برتولييه . ولست ادري كيف اشكر لك هذه الصداقة كلها .

جوليبت – هذا هو اذن السبب في ان «روبرت» لم تصحبك ! ان المسكينة تعد العشاء .

برتولييه – روبرت ؟ ابداً . لقد ذهبت الى « كوكتيل » لا ادري اين يقام ولعلها لم تعد بعد . هيابنا بسرعة . انكم جائعون وعطشى . فلنذهب .

جوليبت – هل أضع قبعة ؟

برتولييه – لتسيري مئتي متر في شارع مقفر ليلا ؟ كلا ... تعالي هكذا .

مايار – سألحق بكم بعد عشرين دقيقة . ان لدي عدداً من الأشغال سأقضيها بالتلفون ، واريد ان افعل ذلك بهدوء .

برتولييه – حسناً . اما نحن فلنمض يا اولادي .

(يتجه الجميع الى الباب بما فيهم مايار)

رينيه (قد بلغت الباب فالتفتت نحو لويس) – لويس ، محفظتي !

لويس – انها في ذراعك ، ايتها الغبية !

المشهد السادس

(تدخل بييريت من الرواق ، فتبدو عليها الدهشة ان تجد القاعة خالية . وتلاحظ البيانو مفتوحاً فتوقع عليه باصبع واحد لحن « احذر ايها البرج » وحين يعود مايار الى القاعة ، تنقطع عن العزف وهي منزعجة .)

بييريت – اوه ! المعذرة .. حسبت انه لم يبق ثمة أحد ...

مايار – لقد اصطحب السيد برتولييه الجميع . هل نام الاولاد ؟

بييريت (متجهة الى الباب) – نعم ... لقد سرني ان الأمور جرت وفق مرام سيدي .

(يسمع طرق على الباب)

مايار – ادخل .

المشهد السابع

(تدخل روبرت برتولييه في زينة المدينة ، انها إمرأة جميلة في الثلاثين ، تشبه فرساً عصبية وحية ، ندية العين ، خفاقة الصدر . تحيي بييريت ببسمة وانحناءة رأس .)

(تخرج بييريت)

مايار – كيف لا تعرفين اين هم ؟ إنهم في بيتك ! بل انه ليدهشني انك لم تلتقي بهم .

روبرت (تنظر لتتأكد ان بييريت قد خرجت) – ولكن بلى ، لقد التقيت بهم . فحين عدت الى البيت ، علمت ان نائبي العام ، زوجي ، كان عند نائبي العام ، مايار ، فخرجت وبلغت حديقتك حين كانوا خارجين . واذ ذاك اختبأت خلف شجرة الزيزفون ، وتركتهم يمرون . (تضحك) هل انت مسرور بان تراني وحدي ؟

مايار – مسرور جداً .

روبرت – لا يبدو عليك ذلك . بل يلوح ان هموماً تشغلك .

مايار – هموم ، انا ؟ كل ما في الأمر ان عندي بعض أعمال تحتاج الى انجاز بالتلفون ، ولهذا ترينني ما زلت هنا .

روبرت – اعمالك هذه ، تنجزها غداً .

مايار – لا ، إنها أمور هامة .

روبرت (فاتحة ذراعيها كما لو انها تستسلم اليه) – وهذا ، اليس امراً هاماً

مايار – لماذا لم تأتي الى المحكمة بعد الظهر اليوم ؟ لقد وعدتني مع ذلك بأن تأتي .

روبرت – نعم ، كانت هذه رغبتي ، ولكني حين وصلت الى قصر العدل ، طويت كشحاً . كنت في حالة من الهياج والضيق ، كنت منزعجة .

مايار – انا لا أعهدك حساسة الى هذا الحد .

روبرت – لقد فكرت كثيراً بهذه الدعوى ، بل انا بالغت في ذلك بالتأكيد فانتهى بي الأمر الى ان اعلق عليها أهمية كبيرة جداً ، في حين ان القضية هي في صميمها قضية تافهة .

روبرت – نعم ما فعلت .

مايار – وكان من شأن ذلك اني كنت افقد خيط خطابي ، وكنت اتردد ، فكان المتهم ينقذ رأسه بين وقت وآخر ، بفضلك انت .

روبرت – لو حدث ذلك ، ما كنت اغفره لنفسي ابداً . ومن حسن الحظ انك لم تخسره ! (تضحك) اوه ، نعم ، من حسن الحظ ، من حسن الحظ !

(ضحكة طويلة تثير القلق)

مايار – روبرت ، ما بك ؟

روبرت – لابد انه رجع الضيق الذي اعتراني بعد الظهر . ماكان اشدخوفي !

مايار – لا تبالغ في الأمر . انني اقرك على ان تكوني قلقة بعض الشيء في انتظار الحكم ؛ اما ان تشعري بالخوف ...

روبرت – اجل ، خوف من ان تصاب انت بخيبة ، باخفاق من الممكن ان يسيء الى عملك ويضر بسمعتك . وما يدريني انا ؟ انني لست الا امرأة ، امرأة مسكينة .

مايار – اجمل النساء واشدهن تأثيراً واجدرهن بالحب ايضاً . حبيبتي !
(يود ان يجذبها اليه ، فتبعده)

روبرت – انتظر . إنك لم تقل لي شيئاً ما اود ان اعرفه . انني آتية الى منزلك لأستشعر على جلدي ، وفي لحمي، دفء النصر ، فاذا انت صامت لا تتكلم . مايار ، يا نائبي العام مايار ، يا نائبي قاطع الرؤوس ، حدثني ... حدثني ...

مايار – ولكن لا استطيع . غداً ، ستقرأين محضر الجلسة ...

روبرت (بصوت مغيظ) – ساقرأه بالتأكيد ! ولكن ارو لي مع ذلك ! كيف كان ، هو ؟

مايار – من ؟

روبرت – المتهم ! كيف كانت هيأته ؟ وعيناه ، كيف كانتا ، عيناه ؟ أكان خائفاً ، قل يا مايار ؟ أكان خائفاً حقاً ؟

مايار – أعتقد ان نعم ... ولكنه لم يظهر لحظة انه خائف . فاذا لم أر في عينيه تلك النظرة ، نظرة الحيوان المطارد ، التي تبدو في عيون المجرمين في المحاكم . لقد كان يظهر دائماً هدوءاً في الاعصاب واعياً ، وبين وقت وآخر ، لوناً من السخرية اليائسة تتجه اليه هو نفسه كما تتجه للمحكمة . اجل ، هكذا كان يبدو . فلم يكن الأمر لديه الخوف بقدر ماكان اليأس .

روبرت – اليأس ، اليس كذلك ؟ لقد كان يشعر انه هالك ، محكوم عليه ، محذوف .. لقد كان يرى الموت ، اليس كذلك ؟ كان يراه ؟

مايار – بل كان يراني متوتراً ، مستحراً لإهلاكه ، ولابد انه كان ، كلما أخذت في الكلام ، يشعر بالحياة تتقلص منه .

روبرت – حتماً !

مايار – وما زلت اذكر ملامح وجهه حين اتى ليدلي بشهادته . فقال له : «انك انت ، يا شارل ، لا تعتقد باني مجرم ؟» وكان في صوته لهجة خلفت في نفسي الاضطراب .

روبرت – ها ! لقد قال له : «انك يا شارل لا تعتقد باني مجرم ...» ها ها ! وحين صدر عليه الحكم ، كيف تراه قد تقبله ؟ كيف كانت هيأته ؟

مايار – في تلك اللحظة ، كنت من شدة السرور بحيث لم اعره انتباهاً .

روبرت – آه ! لو كان في استطاعتي ان أكون هناك ، انا . اذن لنظرت اليه ، قاتلك هذا ، وحدقت في أعماق عينيه . ولكنت التصقت بك انت الذي امرت بقتله (تلتصق به) يا حبيبي ، لقد قتلته ، لقد قتلته ...

مايار – يالك من مجنونة ! (يأخذها بين ذراعيه)

المشهد الثامن

(فالورين يدفع المصاريع التي ظلت مشقوقة ، ويظهر على حافة النافذة . انه شاب في الخامسة والثلاثين ، انيق في ملبسه اناقة لا تخلو من جدة ، وتذكر بمهنته كعازف للجاز . تبدو على وجنته مسحة من الدم الجاف . حين يقفز الى القاعة ، ينفصل روبرت ومايار فجأة ويلتفتان اليه .)

مايار – انت ! ... انت ! ... وفي بيتي ؟

روبرت (بصوت خائف) – مايار ! مايار ! (تحاول ان تختبيء خلف مايار)

فالورين – نعم ، انا بالذات ايها النائب العام مايار . انني انا رأسك الثالث ؟

مايار – كيف يمكن ان تكون حراً ، ومن الذي اعطاك عنواني ؟

فالورين – انني أجهل عنوانك ، بالرغم من انني الآن تحت سقفك . بل انا عاجز عن ان اعرف ان كنا الآن في «ايرويتز» او في «نوردهاوزن» او في مكان آخر . اما بشأن ان تعرف لماذا تراني حراً ، فمما لا يحتمل الجدل انني قد فررت .

مايار – هذا خطأ . إن القاتل لا يفر .

فالورين – انت على حق ايها النائب العام ، ان القاتل لا يفر ، ولكن العناية الآلهية هذا المساء كانت في صف القتلة . فان سيارة السجن التي كانت تقلني ، بعد ان غادرت قصر العدل ، اصطدمت بشاحنة . وكنت الوحيد الذي نجا ، فوجدتني فجأة حراً : ولما كان الوقت متأخراً ، والمكان مقفراً تقريباً ، فقد استطعت ان امضي ويداي في جيبي .

مايار – ولكن كيف اتيت الى هنا ؟

فالورين – ذلك اني بعد ان مشيت خمسين متراً ، أصابني الذعر فأختبأت في احدى السيارات المصطفة الى جانب الرصيف . وتلبدت في الخلف ، على ارضية السيارة ، وانا لا اجرؤ على التنفس ، ولكنك وصلت ، وصعدت السيارة ، فأخذت المقود ، وقدتني لا ادري الى اين ، في هذا الشارع المقفر . وقد بدت لي المسافة طويلة لا تنتهي . وحين نزلت ، خاطرت بنظرة الى الزجاج ، فرأيت انك قد تركت باب حديقتك مشقوقاً ، فدخلت وراءك . (يضحك ضحكة قصيرة) انك ترى انني لم أضع امسيتي .
(يتلمس مايار جيوبه بحذر وينظر الى درج الطاولة)

فالورين – لا تبحث عن مسدسك . لقد تركته في احد جيوب سيارتك ، فاستوليت عليه (يخرج المسدس من جيبه) وقد تأكدت ، بالاضافة الى ذلك ، من انه محشو بالرصاص ومعد للاطلاق .

مايار – ما الذي رجوته ، وانت تدخل بيتي ؟

فالورين – لم أرج شيئاً محدداً . كنت ما ازال أجهل اسم السائق الذي ارسلته لي العناية الالهية ، كما كنت اجهل وظيفته . ولو انني سمعت كلباً ينبح ، لأطلقت لساقي العنان ، ولكن لم يكن عندك كلب ، ولله الحمد ، وحين دلفت الى حديقتك ، أملت بغموض ان يظل الحظ مواتياً لي(ضاحكاً). ولم يخب أملي.

مايار – ولماذا ؟

فالورين – ستفهم ذلك . فبعد ان اجتزت الباب خلفك ، طفت بمقصورتك فجذبتني انوار غرفة الاستقبال ، وانما استطعت ان اضع اسماً على وجه المحسن إلي ، حين رأيتك هنا ، في هذه الأنوار . واذن ، فقد شاهدت دفقات الفرح التي طبعت رجوع المنتصر . وكان في ذلك شهامة وذوق ممتاز . وانا لم اتصور قط ان موت رجل يستطيع ان يخلف جذلا صريحاً الى هذا الحد ، ولا مزاحاً مرحاً غزيراً كذلك المزاح . ان ما استطعت ان افاجئه من حياتك الخاصة ، قد اثار اهتمامي كثيراً ، ايها النائب العام .

مايار – كفى ، كفى ، اليس كذلك ؟! انني اعفيك من افكارك حول حياتي العائلية . اذهب فاشنق نفسك في مكان آخر ، وحل عن ظهري !

فالورين (بحركة خفيفة من يده التي تمسك بالمدس) – انني افهم ايها النائب العام مايار ان يغريك حضور صديقتك الجميلة بان تبدو بمظهر المتعالي ؛ ولكن ينبغي لك ان تدرك انني من جهتي لا اشم فيك رائحة خاصة من القداسة والطهارة . فقد آن لك ان تطامن من تساميك .

مايار – يبدو لي انك تهددني ؟

٤٥

فالورين — اما انا فيلوح لي ان ضحايا فصاحتك كانوا يكونون مسرورين بان يوقفوك عند فوهة مسدس ، كما افعل انا .

مايار (ملطفاً لهجته) — احرص على ان تفكر جيداً يا فالورين . انك اذا واجهت الموقف بحظ يسير من التبصر ، فستوافق على انك ستخطو خطوة سيئة جداً اذا شئت ان تعرض شخصي لانتقام سخيف ولا طائل تحته . ينبغي ان تذكر انك مقبوض عليك من غير شك قبل مرور اربع وعشرين ساعة .

فالورين (بضحكة باردة) — اي خطر تراني اجابه ؟ فانا محكوم علي بالاعدام !

(يلي صمت ينظر مايار في اثنائه حوله ، جارضاً بريقه ، بادي الذعر)

مايار — هل دخلت الى هنا ، وعندك قصد محدد ؟

فالورين — نعم . على اني ، منذ لحظات ، حين اصطحب النائب العــام برتولييه زوجك واصدقاءه ، كنت مزمعاً الا امكث هنا الى الأبد . لم اكن انتظر الا ذهابك ، لأمضي بدوري . ثم رأيت هذه الساقطة تدخل .

مايار — ان من يمسك بيده مسدساً ، يستطيع ان يسمح لنفسه باطلاق جميع الشتائم والسفاهات . فانها لا قيمة لها .

فالورين — حين كنت تصمني ، امام المحكمة ، بالوحش المرائي ، وحين كنت تتهمني باني أحمل في اعماقي أخس الغرائز ، كنت انت ايضاً تنعم بالقوة المسلحة . ولكن الفرق انك كنت تتكلم هكذا بالمصادفة ، من غير ان تكون واثقاً ابداً من الحقيقة ، لأنك كما قال النائب العام برتولييه ، وكان على حق ، لم تكن تملك ادلة كافية . اما انا ، فاني حين اؤكد ان هذه المرأة ساقطة ، فانما اقول ذلك لأنه واقع .

مايار — روبرت ، انك لن تسمعي اطول مما سمعت سفاهات هذا الرجل فأرجوك ان تغادري هذه القاعة وتتركيني وحدي معه .

فالورين (رافعاً يده التي تمسك بالمسدس) — حذار من ان تفعلي ذلك . لقد كنت شديد الرغبة في مثل هذا اللقاء ، فلن اقبل ان ينتهي هذه النهاية السريعة . وانا ايضاً ، بحثت عنك بنظري في اثناء المناقشات ، وانا ايضاً التفت غير مرة الى القاعة ، املا في ان اراك وسط الحاضرين .

روبرت — ان تراني انا ؟ انك حقاً لمجنون ، فانا لا أعرفك .

مايار (لفالورين) — انك لا تدرك بعد ما تقوله يا فالورين ، لقد أضعت رشدك .

فالورين — لا ، لم أضعه بعد ، (لروبرت) نعم ، حتى آخر لحظة ، أملت ان اراك تبرزين على المنصة لتشهدي ببراءتي .

روبرت — ولكن ، ما شأني بالشهادة ؟ اني لم ارك من قبل اطلاقاً !

فالورين — انك تكذبين ببراعة ، ولكنك لن تكذبي طويلا .

مايار — هيا ، لننته من ذلك ! لئن كنت قد دخلت منزلي لتحصل على مال فلنصف القضية ولترحل بعد ذلك .

فالورين — انت ، انصحك الا تتدخل في حديثنا . (لروبرت) آه ! لقد حرصت على الا تحضري المحاكمة . لعلك خشيت ان تضعفي فتستسلمي لنازع من شرف او تسامح اذ تريني على مقعد المتهمين ؟

روبرت — ليس لكلامك اي معنى . اكرر مرة اخرى اني لا أعرفك .

فالورين — بكل تأكيد . فانا لم اكن بالنسبة لك الا خليلا عابراً . اما اليوم فان القضية قضية حياة رجل .

مايار — آه ! انك هذه المرة تتجاوز الحد يا فالورين . فانا لا اعترف لك بحق ...

فالورين — آه ! حل عني انت والحق . حسبك ما تحدثت عنه في المحكمة...

مايار — ان ما لا أقبله ...

فالورين (متجهاً الى مايار وحاملا اياه على التراجع) — ماذا ، ماذا ، ما الذي لا تقبله ؟ الا يدعي قاتل حكمت عليه بالموت انه ضاجع خليلتك ؟ ينبغي لك ايها النائب العام مايار ، ان تقر هذا ، مع ذلك .

روبرت — هذا كذب ، كذب وبهتان . فليس لهذه الحكاية رأس ولا ذنب .

مايار (بعنف) — أتسمع ؟ تقول ان ذلك كذب !

فالورين — يا للوقاحة ! ان عليك انت ، ولست غريباً عن المهنة ، ان تعرف قيمة مثل هذه الانكارات . اليس كذلك ؟

روبرت — هذا كذب .

مايار — بكل تأكيد ، ياروبرت ! فلا حاجة بك اذن الى ان تدافعي عن نفسك . (لفالورين) اما انت ، فان كذبك في نظري ، انا صاحب المهنة قضية مضحكة تقريباً .

فالورين — حقاً ؟ اني اهنئك ايها النائب العام ، ولكن اذا كنت اكذب ، فمن اين لي ان اعرف ان على الخاصرة اليمنى من جسم هذه المرأة ندبة ، وكذلك في موضع كليتيها ؟ ومن اين لي ان اعرف ان تحت نهدها الأيسر بقعة من القهوة ؟

مايار (منتظراً جواباً لا يأتي ، يلتفت الى روبرت) — روبرت ! ولكن قولي شيئاً ، تكلمي !

روبرت — اني لا اعرف هذا الشخص ، وليس لي ان اجيب على تهمة سخيفة كهذه . ثم اني لا افهم ان تدع هذا القاتل ان يلطخني هكذا .

مايار — تعلمين جيداً يا روبرت اني لا اطلب الا ان اصدقك . ولكن هناك واقعة . مع ذلك . فكيف يعرف فالورين هذه التفاصيل لو لم يرها ؟

روبرت — آه ! ولكن ما الذي تريدني ان اقوله ، انا ؟ لست ادري ... ربما سمع احداً يتكلم عنها ...

فالورين (مبتسماً) - ربما من أصدقاء ؟ والقبعة « الاذامية » المزدانة بريشة ، والثوب الأسود المطرز بزهرة كبيرة خضراء ، اتراني سمعت من يتكلم عنها ايضاً ؟ وتحت الثوب ، النطاق واربطة الساق السوداء المخططة بالأصفر التي تجعلك تشبهين الدبور ؟ ومن يدري ، فعلك ما تزالين تحتفظين بها الآن ؟ (يرفع ثوب روبرت ، ويكشف عن اربطة الساق)

مايار (بعد صمت ينظر في اثنائه الى روبرت ، يسأل بصوت جاف) — واذن ؟ الا تجدين ما تجيبين به ؟

روبرت (بحدة) اي نعم ! لقد كنت خليلته ذات مساء . وماذا في ذلك ؟ انه حقي . وليس علي ان اودي حساباً عن مسلكي . ثم اية علاقة لذلك بالجريمة

فالورين — علاقة بسيطة في التواريخ . في ذلك المساء ، مساء الجريمة ، الذي صادف اول حزيران ، قلت لي ان زوجك كان في مرسيليا ، وانه عائد صباح اليوم التالي . هل يسافر النائب العام برتولييه كثيراً ؟

مايار (لروبرت) — كنت معه . ولقد أفدت من غيابي ، اليس كذلك ؟ لقد أفدت من غيابي ؟ آه ، ما كان أغباني !

روبرت — احتفظ بلومك . ان عندي شيئاً آخر أعمله غير الاهتمام بخيباتك العاطفية ، واذا كنت تحبني حقاً ، فأحرى بك ان تفكر اولا بهذه القرميدة التي تسقط على رأسي .

(يظل مايار مبهوتاً ، ويذرع القاعة جيئة وذهاباً)

مايار (لفالورين) — حقاً ، ما دمت مساء يوم الجريمة بصحبة هذه المرأة فلماذا لم تذكرها من الشهود ؟ انك بذلك تملك تبرئتك العتيدة .

فالورين — ايها النائب العام مايار ، منذ حين كان ذهنك أفطن واسرع بداهة حين كانت القضية ان تحصل على رأسك الثالث . كان عليك ان تفكر

٤٦

بأنني ان لم اطالب خليلتك للشهادة ، فذلك لأني كنت أجهل اسمها ولأني لم أكن املك صورتها .

مايار — كيف تعارفتما إذن ؟

فالورين — على الرصيف . لقد التقيتها ، ذلك المساء ، قبيل الساعة الثامنة ، وهي تذرع جادة « ميلانا » وحيدة مترصدة . ولقد حسبتها اول الأمر بغياً .

مايار — اوه !

روبرت — عديم التهذيب !

فالورين — ثم ادركت انها امرأة جميلة تبحث عن رجل للذتها . امرأة جميلة سهلة ، استسلمت لاغرائها ، وقصدنا احد الفنادق ، بالقرب من محطة « سان سيلفستر » ، فندقاً كهذه الفنادق التي لا تهتم خادماتها بالازواج الذين يتتابعون . وبعد ثلاثة ايام اوقفت ، فلم تعرفني اية خادمة منهن . ولم تستطع اية واحدة ان تشهد بانها رأتني في الفندق ليلة الجريمة . وكان المطر قد تساقط طوال النهار ، وكنت مرتدياً من اللباس ما يرتديه الكثيرون : قبعة من لباد ، وواقياً من المطر . واليوم انقضى اكثر من اربعة أشهر ، وان من المرجح بل من المؤكد ان احداً من الفندق لا يذكر انه رأى فيه هذه المرأة (صمت) . هل تفهم الآن الوضع ؟ انه لا يمكنني بعد ان اقيم الدليل على الحقيقة . وانت وحدك تستطيع ان تشهد بان السيدة روبرت برتولييه قد اعترفت امامك انها تمت معها يوم الاول من حزيران ، بين الساعة الثامنة ومنتصف الليل . وهكذا تكون حياتي وشرفي بين يديك مرة أخرى .

(صمت طويل ينظر روبرت وفالورين خلاله الى مايار الذي يصرف عنهما بصره)

مايار — وماذا تريد مني ؟

فالورين — ان تقوم بواجبك .

مايار — فليكن . ومهما يكن من امر ، فليس من الوارد ان نسيء الى سمعة زوجة قاض بمثل هذه الحكاية القذرة .

فالورين — ايها النائب العام مايار ، انك انت نفسك قاض ، واحسب ان القضية ينبغي ان تطرح ببساطة على ضميرك كقاض . اما انا ، ولست في الحياة إلا عازف جاز ، فيلوح لي ان الحل يفرض نفسه من غير نقاش .

مايار (بعد صمت) — سأقوم بما ينبغي ان اقوم به . ولكني اطلب الآن ان تذهب .

فالورين — اذهب ؟ لكي ادع لهم ان يعتقلوني صباحاً ويعيدوني الى السجن اراك تستباهي حقاً . اني باق هنا .

مايار — انت ؟ تبقى هنا ، في منزلي ؟ آه ! كلا ! مئة مرة كلا ! ولكن اذا كنت تعرف اشخاصاً موثوقين استطيع ان اقودك اليهم بسيارتي ، فانا مستعد لذلك على ابعد تقدير ...

فالورين — ليس هناك أشخاص اوثق ممن يساء الى سمعتهم . ولابد ان ممارسة « العدل » قد علمتك ذلك . فلا تلح اذن ، انني باق تحت سقفك ، ولا شك في ان عندكم غرفة صديق .

مايار — ولكن ذلك مستحيل ! انني لست وحيداً ! ان عندي زوجة ...

فالورين — لا ارى اي مانع من ان تطلع السيدة مايار على الحقيقة ، او على الاقل ما يخص علاقاتي بزوجة زميلك .

مايار — والاولاد ؟ والخادمة ؟

فالورين — لا تعترض بعد ، فليس ثمة من فائدة . لقد صح عزمي على ذلك . والواقع انني سابدأ بالافادة من ضيافتك من غير تأخير وأسألك اين استطيع أن غسل يدي ووجهي ، فانا اعتقد اني أصبت ببعض الخدوش .

مايار (مشيراً الى الرواق) : من هنا . تسلك السلم الداخلي ، فتبلغ الطابق الاول . الباب الثاني الى اليسار .

فالورين — آه ! حسناً ! بجانب غرفة الاولاد ؟ شكراً . (واضعاً مسدسه على الطاولة) يا سيدي النائب العام ، انني أكل اليك العناية بشرفي والعناية بان تطيل حياتي .

(ينظر اليه مايار وهو يرقى الدرج ، ثم يقبل على روبرت) .

المشهد التاسع

مايار (صافعاً روبرت) — ساقطة ! قذرة ! مستعدة للحاق باول قادم الى فندق للدعارة . آه ! لقد احسن في تسميتك بالبغي ! انني افهم الآن فرحك الجنوني حين بلغك الحكم بالاعدام على بريء . فقد كنت تعلمين انه بريء . كنت تعلمين ذلك .

روبرت — اجل يا مايار ، اجل .

مايار — ربما ازعجتك بهذا الإحراج ؟

روبرت — لا . فاذا افهم غضبك ، واقدر حزنك .

مايار — بغي . هكذا اذن ، حين كنت ترويني لي انك تطوفين بالمتاجر ، فانما كنت في الحقيقة ترتمين على اعناق الرجال في الشارع . رجل كل يوم ... ان ما يدهشني انك لم تقعي على مجرم حقيقي يغتالك في فندق قذر ليسلبك مجوهراتك . آه ! لو اتاني مثل هذا لبرأته بكل طيبة خاطر ! ولكن ماذا في جسدك ، في بطنك ، تحت جلدك ؟

روبرت — انك تتهمني أنني آخذ عشاقاً باليوم او بالساعة ، ولكنك تعلم حق العلم في قرارة نفسك ان هذا غير صحيح . انك لم تشك لحظة بان تلك الامسية مع هذا المجرم لم تكن الا حدثاً عارضاً .

مايار — أتحسبينني بسيطاً الى هذا الحد ؟ أو تظنين انك تستغفرين لخطيئتك بخطيئات لم ترتكبيها ؟

روبرت — اعترف بأني اخطأت ، وانا لم انتظر عواقب ضمني لأندم عليه . ينبغي ان تكون لدينا الجرأة للاعتراف بان جميع النساء يعرفن مثل هذه اللحظات من الضعف . وليس هناك من هن معصومات منها الا النساء الباردات ، كزوجتك . اسمع يا مايار : لاتندم ابداً على ان امرأة مثلي تحبك ، حتى ولو حدث ان كنت مجنونة . فان اشد ساعات جنوني هي التي أقضيها بين ذراعيك . (تشده اليها)

مايار (ملامساً كتفها) — انك تكذبين . انا على شبه اليقين بانك تكذبين . ولكن الكذب « يليق » لك كالثوب الجميل .

روبرت — سترى اننا بعد هذه التجربة ، سيكون احدنا ادنى الى الآخر منه في اي وقت مضى (خافضة صوتها) سترى اي مذاق سيتركه على حبنا اشتراكنا في الذنب .

مايار — اشتراكنا في الذنب ؟ انك مجنونة اكثر فاكثر ! الى اي شيء تومئين ؟

روبرت — ألم تسمع ما قاله فالورين ؟ لقد أقر انه لم يعد في طوقه ان يقيم الدليل على حقيقة الحادث . اذن ؟ فاي هم نحمله ؟

مايار — إنك حقاً عجيبة ! آه ! لاشك في ان « العدالة » ليست هي من اختصاص النساء .

روبرت — ما دمت اردد لك ان ليس في استطاعة فالورين ان يثبت شيئاً ..

مايار — مفهوم ... ولكنني ، انا ، أعلم .

روبرت — نعم ، تعلم ولكنك لا تقول شيئاً . كما لو ان ذلك لم يحدث لك

عشرين مرة ، خمسين مرة ، في اثناء ممارسة وظيفتك !

مايار — انك تبالغين !

روبرت — ان زوجي يمارس المهنة نفسها ، فانا ادرك معنى تصرفاتك . ولئن كانت بعض الوان الضعف قد مرت بي ، فانها لا تعد شيئاً إزاء الوان ضعفك .

مايار — ولكن اسمعي يا روبرت .. ليس الامران سواء ...

روبرت (ضاحكة) — انك على حق يا مايار . إن الكفة تميل معك. ولكن لا تنس ان استنكافي هو الذي اتاح لك ان تحكم بالموت على بريء . هيا إذن. أنت ترى جيداً اننا صنعنا لنتفاهم .

مايار — نتفاهم على اي شيء ؟

روبرت — على السلوك الذي ينبغي ان نسلكه بشأن فالورين . اني اطلب اليك ان تلزم السكوت مرة اخرى . هذا كل ما أطلبه .

مايار — إنني لن أنصاع لحظة لاقتراحاتك. ولكن اذا كان علي ان اهتم لحظتها ، فان ذلك سيكون حساباً رديئاً احسبه. افرضي اني سأصمت ، فما عساه يحدث ؟ ان فالورين لن يتردد في ان يروي كل شيء لمحاميه .

روبرت — ليست عنده دلائل .

مايار — إن هذا لن يمنع المحامي من ان يتعلق بهذه القصة ويحاول ان يثير الرأي العام . ولاشك في انه سيتحدث عن الندبتين اللتين في جسمك ، وعن حبة الجمال . واحسب ان ذلك سيكون فضيحة جميلة . وما يدرينا انه لن "تعرفك احدى خادمات الفندق ؟

روبرت (وقد اسقط في يدها) — آه ! صحيح . هناك امر الفندق .

مايار (بهيئة مرتابة) — لعلك لم تذهبي الى الفندق هذه المرة فقط ؟ بل لعلك متعودة عليه ؟

روبرت — كلا ، كلا.. اراك تذهب بعيداً في الاتهام ! انها اللحظة الملائمة .

مايار (متنهداً) مهما يكن ... (هنيهة) ترين إذن ان بوسع المحامي ان يفوز

روبرت (بعد صمت) هذا صحيح . بعد كل حساب ، ارى انه لم يبق لنا إلا حل واحد . (تنظر الى المسدس)

مايار — روبرت ، بم تفكرين ؟

روبرت — لقد فر فالورين ، فدلف الى منزلك لينتقم لنفسه من الحكم الذي استصدرته عليه . وكل ما فعلته انت ، انك دافعت عن نفسك .

مايار — اتريدين ان تجعلي مني قاتلا الآن ؟ لا ، لا . قد لا اكون قاضياً بعيداً عما يؤاخذ عليه ، ولكني لن اكون قاتلا على اي حال !

روبرت — بلى ، انت قاتل ، ولكنك تخشى ان تطلق النار . انك لا تقتل الا بواسطة شخص ثالث . واذن ، فانا التي سأطلق النار عليه .

مايار — انني احظر عليك ذلك . فانا ارفض ان اكون شريكاً لمجرمة .

روبرت (ضاربة بقدمها الأرض) — الحق انه ليس هناك من هو أشد بلاهة منك !

مايار — لئن اظهر احد بلاهة ، في هذه الظروف ، فهو انت دون ريب ! اية حاجة كانت بك لأن تعترفي امامي بانك قد ضاجعت هذا الشخص ؟ لو انك انكرت حتى النهاية ، وعن عمد ، لكان بامكاني ان اشك بعد ، ولسهل علي ان اتدبر الأمر مع ضميري ، كان بوسعي ان اقنع نفسي بأنه كان كاذباً ، وكنت استطيع ...

روبرت — ارجو اعفائي من هذه النزاهة التي تقوم بها عبر واحات ضميرك ، فمن الخير لك ان تحدثني عما تنوي عمله .

مايار — ماذا تنتظرين ، اني انوي القيام بواجبي . فليس لي الخيار بعد.

روبرت — تقصد ان زوجي سيقف على حقيقة الأمر ؟ وليس هو فقط ، بل جميع الناس ؟

مايار — انني اول من يتألم لذلك ، ولكن ليس لي ان أجعل الموقف غير ما هو في الواقع .

روبرت — وانت لا ترى اي مانع من ان تعرف زوجتك ويعرف الجميع اني كنت خليلتك ؟

مايار — من الذي سيعرف ذلك ؟ لا حاجة الى ان يعرف احد امر علاقتنا . إن فالورين ، الذي يبدو لي انه رجل نبيل جداً ، لن تأخذه الرغبة ابداً بان يفشي ذلك .

روبرت — ولكن انا ، سأفشيه !

مايار (مذعوراً اولا) — هذا « شانتاج » ! انني انذرك بأنك ، في هذا الميدان ، لن تصارعيني بسلاح متكافيء . فلا تنسي ان حل هذه القضية يقوم آخر الأمر على شهادتي . وانت تحسنين صنعاً بان تفكري بذلك. واني بعد هذا كله لأتساءل : لماذا لم تساعدي فالورين على ارتكاب جريمته ؟

روبرت — قذر دنيء . !

مايار — بغي قحبة ! (صمت يتبادلان في اثنائه نظرات كره) أحسب ان من صالحنا الا نتخاصم . اننا بحاجة الى برودتنا كلها . فلربما كان ممكناً ان نجد مخرجاً يوفر علينا الفضيحة ، بالرغم من ان الأمر يبدو صعباً لاول وهلة . انني بحاجة الى محادثة مع زوجك على الفور .

روبرت — هل ستقول له ...

مايار — اعتبر هذا الأمر اهون الشرور ، ان استطعنا ان نتفادى من الباقي . عودي الى البيت ، فقولي له انك ترغبين ... ان الرئيس « فوكولين » قد سعى الى لقائي من أجل قضية تهم امن الدولة ، واننا شديدا الرغبة في إستشارته حالا . ثم انك تتدبرين الأمر بحيث تمسكين في منزلك مادلين وآل اندريو .

(يصمتان . يسمع وقع خطى في الرواق ، ثم يظهر فالورين في اعلى السلم)

المشهد العاشر

فالورين — استميحكما العذر ، فلقد تأخرت قليلا وانا ازيل عن وجهي آثار الدم . وارجو ان تجدا مظهري الآن اكثر قبولا مما كان ساعة وصولي . الحق ان غرفة الاصدقاء هذه الصغيرة غرفة لطيفة جداً . وانا على يقين من اني سأجد فيها كل متعة وراحة .

(يهبط فالورين درجتي الرواق . تتناول روبرت المسدس المتروك على الطاولة ، فتطلقه على فالورين ، ولكنه لا ينطلق)

فالورين — لقد احتطت للأمر فأفرغته من رصاصه قبل ان ادخل . انني انفر نفوراً شديداً من اراقة الدم . واحسب ان هذا هو شأنكما ايضاً ، ولكن يبدو ان عليكما قبل كل شيء ان تنقذا شرفيكما اللذين يعرضهما وجودي للخطر . فمنذا الذي يؤاخذكما على ذلك ؟ يلوح اننا لا نملك اثمن منه .

مايار — صدق انني استنكر إطلاقاً حركة السيدة برتولييه .

فالورين — اصدق ذلك ، فالواقع انه بدا عليك انزعاج طفيف حين تناولت هذه المرأة المسدس . انك لم تحاول ان تمنعها من إطلاق النار ، ولكن استنكارك تعزية معنوية لي . فانا أحسب ان الإسراع لانقاذ رجل في خطر ، ليس هو من شأن نائب عام . (لروبرت) أتسمعين ؟ إن عشيقك ، الذي تعودت عليه اكثر من اي عاشق آخر من عشاقك ، يستنكر النية التي ساورتك لتحطيم رأسي . (لمايار) ولكن ما الذي كنت تفعله ، ايها النائب العام ، لو

— التتمة على الصفحة ٩٧ —

٤٨

رؤوس الآخرين

— تتمة المنشور على الصفحة ٤٨ —

اني سقطت امامك ، وفي جبيني رصاصة ؟ أكان استنكارك يتفاقم بحيث تشكو القاتلة الى القضاء ، ام هو استنكار مبدئي فحسب ؟

مايار — يبدو لي اننا امام واقع دقيق بما فيه الكفاية حتى لا نتيه في ميدان الافتراضات .

فالورين — انك تقر باني لم ابذل جهداً خيالياً كبيراً لبلوغ هذا الافتراض (يلتفت الى روبرت ضاحكاً) .

روبرت — اطلب منك الصفح بكل اخلاص . لقد فقدت أعصابي ، واتيت ما اتيته في لحظة جنون ، ولكني آسفة للبادرة التي انسقت اليها .

فالورين — ان اسفك اشد لأن المسدس لم يكن محشواً ، اليس كذلك ؟

روبرت — آه ! انه يلائمك الآن ان تسخر مني . ان خطأي هو اني امرأة ، وان أجدني في وضع لا يغفر لي الناس فيه ان اترك نفسي ضحية المفاجأة . وإن الرجال سيكونون اول الهازئين بأبيّ واول من يشعرني باحتقارهم . فاي مسكينات نحن النساء ، وما اجدرنا بان نحسد الجنس الآخر . فانت مثلاً ، من أجل ان تبرىء نفسك ، تستطيع ان تعتمد على امسية قضيتها في الفندق مع امرأة ، من غير ان يخطر لأحد ان يبتسم من جراء ذلك او ان يغتاظ . اما اذا كان الامر متعلقاً بامرأة ، فان الجميع يومئون اليها بالاصابع ، ويمضون يرددون في كل مكان انها بغي ، انها قحبة !

فالورين — اوه ! تريدين الحقيقة ، هذا ما كانوا جديرين بان يقولوه في عهد جدتي . اما اليوم ، فان الناس ارحم .

روبرت — لا في وسطنا ، وسط القضاة ، حيث يظل الناس أقسى .

فالورين — صحيح ؟ كنت اظن ، عكس ذلك ، ان الناس احذق والبق . ولكن ما الذي تقصدين اليه في النتيجة ؟

روبرت — كل ما ارغب فيه هو ان اجعلك تتمثل الكارثة التي سنواجهها ، انا وزوجي ، من جراء كشف النقاب امام الجميع عن مغامرة مساء . واعتقد الآن ان بالامكان تقديم نسخة عنها مختلفة بعض الشيء ، ولكنها تنقذك من غير ان تسيء الينا . فمثلا ، استطيع ان أجد امرأة ليست ذات سمعة ينبغي ان تصان ، فاقدم لها ثمناً لأن تشهد بأنها قضت معك امسية اليوم الاول من حزيران . اني واثقة من ان باستطاعتنا ان نرتب القضية .

مايار — إن في هذا بذور فكرة لا بأس بها .

روبرت — اليس كذلك ؟

فالورين — ايتها السيدة برتولييه ، انا لا اريد ان ارتب القضية . اعلمي اولا انني لا أرق لفكرة الفضيحة التي ستلطخك . ومع ذلك ، فانا رجل سمح ، وأفهم وان كنت انكر ان تحرص امرأة على سمعتها اكثر مما تحرص على حياة انسان ، ولو كان هذا الانسان عشيق ليلة . ولكنك انت ، ايتها السيدة برتولييه ، كان الخيار امامك يسيراً جداً . فحيث انك عشيقة النائب العام مايار ، فقد كان يكفيك ان تقولي له الحقيقة لتنقذيني . (لمايار) ما الذي كنت تفعله لو عرفت الحقيقة ؟

مايار — بالطبع ، كنت اتدبر الأمر بحيث اتخلى عن التهمة .

فالورين (لروبرت) — اتسمعين ؟ كان بوسعك ان تخلي سبيل بريء ، من غير ان تعرضي نفسك للفضيحة . ولكنك لم تريدي ذلك .

روبرت — اتعتقد انه يسير الى هذا الحد ان تعترف امرأة لعشيقها بانها قد

خانته ؟ اني لم استطع . ومع ذلك ، فقد كان بودي لو انقذك .

فالورين — انت تكذبين . حين دخلت القاعة منذ حين ، كنت تظهرين فرحاً جنونياً وانت تتحدثين عن الحكم علي بالموت .

روبرت — نعم ، انا مذنبة ، واشد ذنباً مما تعتقد ، انني شيطان ، واني لأنفر من نفسي ، ولكني استطيع ان اصبح امرأة اخرى ، اذا اعانني على ذلك أحد . اليس هناك مجال للصفح عن امرأة مثلي ؟

فالورين — ليس هذا من شأني . توجهي بذلك الى الرب .

روبرت — ابتهل اليك ان تشفق علي ... الذكرى تلك الساعات التي قضيناها معاً ... (تحاول ان تمسكه من ذراعه ، فيتملص منها) تذكر ...

مايار — روبرت ، إنك لتثيرين اشمئزازي . هيا ، انطلقي الى منزلك وارسلي لي برتولييه . إن هذا لصالحك .

روبرت (تنظر نظرة قلقة الى مايار) — على الأقل ، لا تقررا شيئاً قبل ان يصل . (تخرج)

المشهد الحادي عشر

فالورين — انها امرأة جميلة ، اليس كذلك ؟ (صمت) ينبغي الاعتراف بانها ، في السرير ، مخلوقة ممتعة جداً . (صمت) ايكون حديثي شاقاً عليك ؟ ام تراك تعتبرني فظاً ؟ (صمت) يجب ان تعذرني . فالحق ان إقامة في السجن تستغرق اربعة أشهر تنسي الانسان العادات المتبعة . هل دخلت السجن مرة ؟

مايار — ولماذا أدخل السجن ؟

فالورين — ما يدريني ... مهما يكن من أمر ، فانا اعتقد ان الرجال المدعوين الى الحكم على آخرين ، ينبغي لهم ان يقوموا بتجربة تمرين في السجن لمدة شهرين او ثلاثة . فهم لا يستطيعون ان يعرفوا ما يكبدونه المحكومين إلا اذا جربوا هذا التمرين . صحيح انه لا مفر لهم ، في هذا الصدد ، من ان يجربوا المقصلة ايضاً ... وبالمناسبة ، هل يلذك حقاً الى هذا الحد ان تنجح في ارسال احد الى المقصلة او الى خشبة الاعدام ؟

مايار — لماذا تصف هذا الامر باللذة ؟ انني لست سادياً . وانما انا اؤدي مهمتي على خير وجه استطيعه ، وحين ابلغ ذلك ، اجدني مسروراً ... هذا كل ما في الأمر .

فالورين — وهل تعتقد انك تقوم بمهمتك خير قيام حين تبدو فصيحاً الى درجة كبيرة ؟

مايار — اليس هذا طبيعياً ؟ حين أوفق ، بعد دحض أدلة الدفاع ، الى القاء النور امام المحكمة على ثبوت الجريمة ورغبات المجرم ، الا اكون بذلك قد قمت بدوري خير قيام ؟

فالورين — بلى ، كما حدث بعد ظهر هذا اليوم . ولكن حين تجد امامك محامياً ضعيفاً ؟

مايار — حينذاك تسهل مهمتي الى حد بعيد ، دون ما ريب .

فالورين — يعني انك اذا كنت ألمع منه ، فباستطاعتك ان تحكم على المتهم ، من غير ادلة ناصعة . كما حدث بعد ظهر هذا اليوم .

مايار — بوسعي ان اقول ، وانا لا ارغب في التبجح ، إن محاميك لم يكن في مستواي .

فالورين — هكذا إذن ، إن حياة المتهم او موته يتوقفان على موهبة كل من الخطيبين ، فكل شيء يجري ، آخر الأمر ، كما لو ان رأسه يراهن عليه في الشطرنج ، بحيث يكسب احسن اللاعبين جانب المحكمة .

مايار — الواقع ان الأمر كذلك الى حد ما ، بالرغم من ان البوح بذلك مزعج وجارح .

فالورين — اذا كان الأمر كذلك ، افليس اعدل للمتهم ان يراهن على رأسه بطريقة « وجه الفلس او قفاه » ؟ في مثل هذا الحال ، كان يكون لي انا حظ

على اثنين لأنجو من الحكم ، بدلا من ان احرم اي حظ .

مايار — إن نظريتك هذه سخيفة، فهي لا تهتم بما يملك كل من الخصمين من اوراق ممتازة .

فالورين — آه ! ولكن لنفرض ان احد اللاعبين جدير بان يغش ؟ انت ، مثلا ؟

مايار — إن خيالك اوسع مما ينبغي . وانا اوثر ان اضحك منه بدلا من ان اغضب .

فالورين — اوه ! احببت ان اتكلم .. والواقع اني اعتقد بانك لا تتقصد الغش لتحصل على رأس عازف بسيط على الجاز .هل ذهبت في عطلةهذا الصيف الى الريف ؟ (صمت) كم اود لو اقوم برحلة الى الريف . فهو جميل في الخريف ... ولكن متى اصبح حراً في الحقيقة ؟

مايار — إن الشكليات تستغرق مدة طويلة ، ولكنك ستمنح مباشرة حرية موقتة .

فالورين — غداً ؟

مايار — لا ادري . ينبغي اولا ان اتحدث في الأمر الى النائب العام برتولييه ... ادخل !

المشهد الثاني عشر

(فالورين يتجه الى النافذة ، مولياً ظهره . بييريت تدخل برتولييه. ما يار يتقدم منه)

برتولييه — يبدو انك بحاجة الى انواري ، وعلى جناح السرعة ؟ ان ثقتك بي تشرفني كثيراً ، ايها الصديق العزيز ، ولكني اتساءل عما اذا كنت جديراً .

مايار — جدير ، انت جدير من غير شك (لبييريت) هل عندك ما تقولينه لي ؟

بييريت — اود ان اعلم اذا كان السيد باقياً في المنزل بدلا من ان يذهب الى منزل السيد برتولييه .

مايار — انني باق .

بييريت — هل استطيع اذن ان اذهب للنوم ؟ وهل يهتم السيد بالاولاد ؟

مايار — اذهبي للنوم يا بييريت (تخرج) .

برتولييه — لقد استعجلتني روبرت استعجالا عظيماً حتى اني قفزت قفزة رياضية لأصل منزلك . وما زلت ألهث من شدة الجري . وإذن، فما هي القضية ؟

مايار — ليست هي ما تظن ، ولكن الأمر خطير ، تعال من هنا ، فانك سرعان ما ستفهم ...

(مايار يقود برتولييه حتى منتصف القاعة . يلتفت فالورين فجأة ، ويحيي بانحناءة من رأسه)

برتولييه (منتفضاً) — ماذا ؟ إنه ... (يلتفت الى مايار) لست مخطئاً يا مايار ... اعتقد انه الرجل الذي رأيته منذ حين في قفص الأتهام ؟

مايار — نعم ، انه فالورين ، الرجل الذيكنت التي منذحين مطالعة ضده

برتولييه — ولكني لا افهم !

مايار — لقد فر .

برتولييه — ماذا ؟ فر ؟ اتتكلم جاداً ؟ .. (ينفجر ضاحكاً) فر ! آه ! هذه مزحة ظريفة ! وانك لتقولها لي بكل هدوء . كما لو انها ابسط الأمور في الدنيا ، ان تجد في بيتك الرجل الذي حكمت عليه بالاعدام . وبالاجمال فانه قد اتى يحمل لك رأسه ، اذا كنت لم اخطىء الفهم ؟ (ينفجر بضحكة جنونية) اعذرني على هذا الجذل ... الواقع ان القضية تدعو الى الضحك الى حد بعيد لقد فر ! لقد فر ! كيف تراه اتى الى منزلك ، في الواقع ؟

مايار — سأشرح لك الأمر عما قليل . اما الآن فأحدثك عن اشد الأمور إلحاحاً وعجلة . اعلم اولا ان هذا الرجل بريء .

برتولييه — آه ! وهل انت على يقين من ذلك ؟

مايار — كل اليقين .

برتولييه — إنك إله يا مايار ! هيا ، ياعزيزي لا تظهر بهذا المظهر المتواضع . لقد حققت نصراً ليس هو فريداً في سجلات العدل . ولكنه يستخفني حماسة !

مايار — لا ، ليس هذا وقت الكلام يا برتولييه . احتفظ بحماستك .

برتولييه — انت لن تمنعني ان اقول إنك ملك النواب العامين . إنه لرائع ان تستصدر حكماً بالاعدام على بريء ، بوسائل موهبتك وحدها . ان بودي ان اعانقك ، يا مايار .

مايار — لا ، حقاً ، اؤكد لك ان لا حاجة بك الى مثل هذا .

برتولييه — اية شهرة هي شهرتك يا مايار ! ما اروع ان يقول المرء لنفسه انه نجح في ان يحصل على رأس بريءٍ ! (لفالورين) اعذرني ، الواقع أن حب المهنة عندنا يفوق اي شعور آخر .

فالورين — ولو كان شعور العدالة .

برتولييه (ضاحكاً) — هيه ! هيه ! إن بريئك خفيف الروح !

مايار — اطلب منك الآن يا برتولييه ان تكون شديد التنبه . فمن الضروري ان تعرف ما هي ادلة براءة السيد فالورين .

برتولييه — انا شديد الفضول لمعرفة ذلك .

مايار — إن المتهم يدعي انه قضى امسية اليوم الاول من حزيران ، بين الثامنة ومنتصف الليل ، في فندق ، بصحبة امرأة كان يجهل اسمها .

برتولييه (بجذل) — لاحظ ان هذه اشياء غالباً ما تحدث . (لفالورين) إن ادعاءآتك مقبولة ... إلا عند نائب عام ! (يضحك)

مايار (بصوت نافد الصبر) . بالاختصار : إن التبرير الذي لم يرد احد ان يصدقه ، هو الآن تبرير صحيح . فقد عُرفت هذه المرأة ، بمصادفة عجيبة واعترفت بالحقيقة .

برتوليه — إن القضية تتجه وجهة روائية . ولكن أسمح لنفسي بملاحظة . قد تستطيع امرأة الا تقضي الا امسية واحدة مع رجل وتحتفظ من ذلك بذكرة لا تزول . افليس معقولا ان هذه المرأة تعمد الى الكذب لانقاذ عشيقها ؟

مايار — اذا كان الأمر كذلك ، فان شيئاً لا يمنعها من ان تأتي للشهادة في اثناء الدعوى . الواقع انها لم تكن لها اية فائدة في ان تكذب . انها امرأة مرموقة في الاوساط ، وهي تخاف ان ينتشر نبأ مغامرتها بين معارفها ، ولاسيما عند زوجها . لاحظ انها معذورة الى حد ما بان تعتورها لحظة من لحظات الضعف . فالحق ان النساء في عصرنا ، لسن اكثر منا بمنجى عن الضعف ...

برتولييه — اذا كان الأمر عائداً لي ، فانا اعذرها بكل رضى ...(لفالورين هل هي جميلة ؟)

فالورين — نعم ... امرأة جميلة بما فيه الكفاية ، وهي على الأخص ذات جاذبية جنسية . واني اذ رأيتها لم يخطر ببالي إطلاقاً انها قد تكون زوجة قاض .

برتولييه — قاض ؟ زوجة قاض ؟ (لمايار ، مخفضاً صوته) انها على اية حال ليست زوجتك ؟

مايار — لا . انها ليست زوجتي انا . وانه ليشق علي ، يا صديقي العزيز ان يكون علي ان اقول لك إن الأمر يتعلق بزوجتك روبرت .

برتولييه (مذعوراً اولا ثم ناظراً الى مايار بعينين بلهاوين) — روبرت ! في فندق ! حسبك هذا ! إنه امر سخيف غير معقول !

مايار — اقول لك إنها اعترفت بالوقائع امامي .

برتولييه — آه ! الكلبة ! القحبة ! في فندق ! مع آخر ! لقد تفادت من ان تقول لي ذلك منذ حين ... ولو قالت لكنت ... آه ! اعتقد اني كنت صفعتها ... (يرتمي في مقعد) ليتك تعلم يا مايار ، اية طعنة ... (لفالورين بقوة) انت الذي أضللتها وأغويتها ، ايها القذر ، الداعر ، طريد المقصلة ! إن روبرت لم تكن تفكر بالسوء ! انك انت المجرم الحقيقي ايها السافل ! ايها الشخص الكريه ! قاتل ، انك قاتل !

مايار — حسبك يا برتولييه ، امتلك اعصابك . حاول ان تنسى عذابك لحظة .

برتولييه — كما لو اني استطيع ان انسى ان امرأتي قد تقلبت بين ذراعي هذا الداعر !

مايار — انني أدرك مبلغ الملك . وانا نفسي شديد التأثر لذلك ... ولكنك الآن في وضع دقيق ينبغي ان تتحرى عواقبه بكل هدوء . فكر ملياً في ذلك ، فقد اعترفت لي روبرت ، بسذاجة ، بأنها كانت عشيقة فالورين ، ذات مساء . وقد كان هذا المساء ، الاول من حزيران ، مساء الجريمة بالذات .

برتولييه — الصبية المسكينة ! يا لبساطتها وسلامة طويتها ! (لفالورين) خنزير !

مايار — إنك إذن تدرك ما الذي يفرضه علي الواجب . فان علي ، مبدئياً ، ان أشهد ببراءة فالورين ، استناداً بالطبع إلى اعترافات روبرت .

برتولييه — هل انت مجنون ؟ إنه لا يبقى لي آنذاك الا ان استقيل .وسيكون ذلك فضيحة فظيعة !

فالورين — اليست الفضيحة الحقيقية هي اني ، انا ، كنت ...

برتولييه — انت ، حل عن ظهرنا . إنك لم تعطَ الكلام .

فالورين (رافعاً صوته) — ليست الفضيحة ان يقال عن زوجتك بان لها عشاقاً . وانما الفضيحة هي ان أسجن واحاكم ويحكم علي بالموت ، من غير ان ترفع صوتها لتبرئتي . لقد كان صمتها جريمة . وهي التي ينبغي ان تجلس غداً في قفص الاتهام .

مايار — سيكون يسيراً عليها ان تبرئ نفسها ، فتقول للقضاة إنها كانت تجهل ان هذا الرجل قد اوقف وانه يحاكم .

فالورين — انك على حق . إن المجرمين الحقيقيين يجدون دائماً تبريراً لهم بصرف النظر عن انهم يتمتعون بعطف النائبين العامين .

مايار — إنك غير منصف .

برتولييه — أياً ماكان ، فليس وارداً اعلان نبأ انحراف روبرت في سلوكها

مايار — لقد قلتها . اما انا الذي استمعت الى اعترافات روبرت ، فان امامي مشكلة ضميرية ينبغي ان تحل .

برتولييه — حسناً . لنتحدث في ذلك . إن مشكلتك الضميرية محلولة تماماً .

مايار — اسمح لي ، ايها الصديق العزيز . احسب أنك تستخف قليلا بالأمر . فالواقع ان شرفي هو الذي يتعرض الآن للخطر .

برتولييه — شرفك ! أسمع يا مايار ، فنحن لسنا هنا لنلقي الخطب الفارغة .

مايار — إنها خطب فارغة بالنسبة اليك انت الذي تحمل للشرف مفهوماً خاصاً .

برتولييه — مفهوم خاص ؟ إن هذه طريقة في الكلام لا تروقني قط . هيا بنا ، لا تبق في منتصف الطريق . ما الذي تريد ان تقوله ؟

مايار — لا شيء ، لا شيء .

برتولييه — اذا كان هناك من لا يصلح للتحدث عن الشرف ، فهو انت يا مايار !

(يجلس فالورين ليشهد اختصام الرجلين ، ويبدو عليه الاهتمام الشديد لذلك)

مايار — إن هذه الملاحظة لا تخلو من طعم ، في فمك . (يضحك)

برتولييه — إن النجاح يا مايار يجعلك تركب رأسك ، ولكن اذا كان صحيحاً انك اتممت براعة عظيمة في استصدار حكم بالاعدام على بريء فينبغي الا تنسى انك لم تبلغ هذا الا باهانة وظيفتك .

مايار — لا اسمح لك بان تنصب نفسك رقيباً علي . ثم إن هذا يجعلك مضحكاً (يضحك)

برتولييه — ليست مهمة النائب العام ان يحكم على متهم بأي ثمن . إن اول هم ينبغي ان يكون للنائب العام الشريف ، الذي ليس هو وصولياً مبتذلا ، هو الا يسيء الى « العدالة » في مطالعته ، كما فعلت انت اليوم . وانا احيلك في هذا الصدد ، على القباء مهنتك ، مع رجاء ان تكتشف من جديد معاني هذا الشرف الذي يمتلئ به فمك مرة واحدة .

مايار — بوسعك ان تحبس مواعظك وتحتفظ بها لاستعمالك . ولا تنس ، خصوصاً ، ان تضيف اليها وصلة في باب الرشوة .

برتولييه — أأنت الذي يجرؤ على التحدث عن الرشوة ؟ انت الذي تراجعت بوقاحة عن الدعوى ضد اكبر مستغل للتربة المسلحة ! لقد تسلمت رزمة جميلة ، اليس كذلك ؟

مايار — اما انت ، فقل لي : كم يبلغ راتب نائب عام نصب نفسه خادماً لطغمة سياسية ؟ قاض لم يتورع عن ان يمد يده فيتناول من الوحل والدم ربطة عنق قائد ، قاض آثر ان يعيش بسخاء على زبل الفضائح التي كان يتولى خنقها ؟

برتولييه — يناسبك جداً ان تتكلم عن زبلي ! فلقد رأوك ، في فضيحة الإجازات ، تلحس أحذية فريق برمته من الوزراء ، وتعرض نفسك في غير ما خجل ، للقيام بأحط الأعمال . وما الذي كنت لا تتورع عن اخضاع وظيفتك له ؟

مايار — آه ! كفاك ! تحدث عن نفسك . إن جميع الوان الخطة والقذارة ..

برتولييه — اعلم جيداً انني انا لم أقم إلا بالخدمات . اما انت يا مايار ، فقد بعت نفسك !

مايار — أسحب كلمة « بعت » ! انني انذرك بان تسحبها !

برتولييه — انني اهزأ بانذاراتك . وأضيف ان احلى ذكرى احتفظها عنك هي اني رأيتك ، بعيد التحرير ، ترتجف خوفاً في اورقة وزارة العدلية ، وانت تستجدي تبرئتك من جميع الأعمال القذرة التي ارتكبتها في عهد الاحتلال

مايار — إن شتائمك لا تبلغني ، ايها الوغد !

برتولييه — إنك انت حثالة العدالة !

مايار — حشرة !

برتولييه — بائع نفسه !

مايار — ديوث !

(يوجه برتولييه صفعة لمايار الذي يحاول ان يردها له ، ولكن برتولييه يتفادى منها)

مايار — ان عليك ان تعوضني عن هذه الاهانة ، وعلى الفور ! انني سأريق دمك ، دم الحيوان الفاسد !

برتولييه – وانا سأسيل القيح الذي يجري في عروقك ، ايها البائع نفسه !

(يرتمي احدهما على الآخر ، ولكن فالورين يفصل بينهما)

فالورين – هيه ! حسبكما ! هل كلبتما حقاً ؟ اية غلواء ! ثقا انني آسف لاضطراري الى فصلكما . فالحق انه مشهد لذيذ لمحكوم عليه بالاعدام ان يرى نائبين عامين يقتتلان ؛ ولكن حرصي على حياتي الخاصة يجبرني على العناية بحياتكما . فمن الذي يشهد ببراءتي ، اذا هلك النائب العام مايار ؟ هيا ، هيا ، كونا عاقلين ، واعدلا عن غسل شرفكما . والآن ، وقد افرغ كل منكما جعبته فأجدر بنا ان نتحدث في القضية التي جمعتنا .

(صمت يخفض النائبان العامان في اثنائه رأسيهما)

برتولييه (بفظاظة) – انك على حق (هنيهة . لمايار) لقد كنت متحمساً اكثر مما ينبغي . واني لألتمس منك العذر .

مايار (فترة تردد) – اني اقبل عذرك .

برتولييه – وأسحب كل ما قلته .

مايار – في هذه الحال . اسحب انا ايضاً ما قلته .

برتولييه – حسناً . اين كنا من القضية ؟ نعم ، كنت اطلب اليك ان تتريث في اصدار قرار يحتاج الى نضج .

مايار – مما لاشك فيه ان ليست هناك فائدة من استعجال الأمور .

برتولييه – ثم إن ما ينبغي ان يقود خطانا ، في هذه القضية المؤلمة ، لا الفائدة الشخصية وانما اعتبارات اعم .. واجرؤ ان اقول : بل اعتبارات اكرم .

فالورين – ايها النائب العام : إن تحفظاتك الخطابية لا تعني في نظري شيئاً له قيمة ، شأنها في ذلك شأن هذه العواطف السخية التي تقدمها . فمن جهتي ، لا استطيع ان اتخلى عن وجهة نظر انانية تماماً ، والا هلكت .

برتولييه – لابد ان نجد وسيلة نوفق بها بين جميع المصالح . ولكن ينبغي لنا ان نقر ، اول الأمر ، ان هذه القضية تتعدى نطاق شواغلنا اليومية الصغيرة .

فالورين – مرة اخرى ...

برتولييه (بصوت وحركات حاسمة) – إن من حظنا ان نعيش فترة استثنائية تحمل في ذاتها بذور حوادث هامة . إن بولدافيا التي اضنتها الحرب ولكنها لم تهزمها ، تجد الآن ثانية هذه المؤسسات التي اقامتها لنفسها والتي يستحيل عليها بدونها ان تبلغ العظمة التي ننشدها جميعاً . ولكن لا ننس ...

فالورين – إسمح ...

برتولييه (رافعاً صوته) – ولكن لا ننس ان وطننا العزيز لا يزال في طور النقاهة . فهل ينبغي التنبيه الى العاقبة السيئة التي ستنتج فجأة عن افشاء القضية التي تشغلنا ؟ ان اشاعة نبأ بان زوجة قاض كبير قد ارتكبت مثل هذا الجرم ، إهانة وإساءة الى العدل في شخص أحد قضاته . إن في ذلك مساساً بسلطة مؤسسة قائمة . وليس لنا الحق في ذلك . فما الذي سيقال عنا في الخارج ؟

مايار – الحق انك ايها الصديق العزيز تكشف لنا بذلك عن المظهر الرئيسي للمشكلة .

برتولييه – دون ريب ! إن واجبنا مرسوم ، ولن نقصر في القيام به .

فالورين – إن جميع هذه الحجج الجميلة التي هي زينة ضميرك لا تخلف في نفسي اي أثر . فهل انت عازم ، ام لا ، على ان تشهد في قصر العدل باني قضيت امسية الاول من حزيران بصحبة روبرت برتولييه . ؟

برتولييه – ليس لنا الحق في ذلك .

مايار – ليس لنا الحق في ذلك .

فالورين – بعبارة اخرى ، انا باق في انتظار التنفيذ . ولاريب ان سعادتي كبيرة جداً اذا لم تسلماني للشرطة .

برتولييه – لقد استحققت ذلك مئة مرة ، ولكننا نحن شخصان شريفان ، وفي نيتنا ان نقيم الدليل على براءتك .

فالورين – واي سبيل ستسلكان ؟

برتولييه – ما دمت بريئاً من الجريمة التي يتهمونك بها ، فذلك يعني ان شخصاً آخر قد ارتكبها . فيبقى اذن ان نجد المجرم . وهذا ما سنعنى به ، وحين نضع يدنا عليه ، فستكون انت بمنجى .

فالورين – هذا جميل جداً ، ولكن متى تراكم ستكتشفون المجرم ؟ بعد عام ، او عامين . وربما ان تكتشفوه ابداً .

برتولييه – اسمع : حين يكون العدل بحاجة الى مجرم ، لأسباب عليا ، فانه يجده دائماً ... اليس كذلك ، ايها النائب مايار ؟ (يتبادل الرجلان بسمة ذات مغزى) سنقبض على المجرم قبل انقضاء ثمانية ايام ، مهما حدث .

فالورين – انني اقل يقيناً منكما .

مايار – هس ! اسمع ضجة .. لقدعادوا ليصحبونا . اصعد بسرعة الى غرفة الاصدقاء ...

فالورين – اظن أن ..

مايار – اصعد بسرعة .

فالورين (متناولا المسدس) – إن مشط الرصاص في جيبي (يدلف الى الرواق ، واذ يبلغ اعلى الدرج ، يلتفت الى الرجلين) إن الرجل الشريف هو حقاً وحيد .

ستار



نقلها عن الفرنسية

سهيل ادريس

طبعت على :

مطبعة دار الكتب - بيروت

بناية العازارية